

الاستلزام التخاطبي في حوارات الرسل والأنبياء

The conversational implicature in the dialogues of the messengers and prophets

شونفي ميلود

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية
جامعة محمد بوقرة بومرداس (الجزائر)

m.chenoufi@univ-boumerdes.dz

معوش عفاف (*)

مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعليمية
جامعة محمد بوقرة بومرداس (الجزائر)

f.maouche@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر:

2023/01/13

تاريخ القبول:

2022/12/28

تاريخ الاستلام:

2022/12/01



ملخص:

يقتفي هذا المقال أثر ظاهرة الاستلزام التخاطبي في نماذج من حوارات أجرها الرسل والأنبياء مع غيرهم، بغية إمطة اللثام عن المعاني المقصودة منها، من خلال تحليلها وفقا لقواعد التخاطب - المتفرعة عن مبدأ التعاون الذي أقره الفيلسوف اللغوي " غرايس " لضمان نجاح عملية التخاطب- بالاعتماد على السياق الذي وردت فيه.

وقد توصلنا إلى أن الاستلزام التخاطبي يتجلى في العديد من حوارات الرسل والأنبياء، وذلك بخرق قواعد التخاطب، فيتم الانتقال من المعاني الحرفية إلى معانٍ مستلزمة يحددها السياق. وهذا الخرق لا يعني عدم تعاونهم مع الآخر على تحقيق الهدف من الحوار، بل هو طريقة مقصودة لتبليغ ما لم يقل.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام التخاطبي؛ مبدأ التعاون؛ قواعد التخاطب؛ خرق القواعد؛ السياق.

Abstract :

This article traces the impact of the phenomenon of conversational implicature in examples of dialogues conducted by the messengers and prophets with others, in order to reveal the intended meanings of them, by analyzing them according to the rules of communication - branching from the principle of cooperation endorsed by the linguistic philosopher "Grace" to ensure the success of the communication process - by relying on the context in which it was received.

We have concluded that the conversational implicature is manifested in many of the dialogues of the messengers and prophets, by violating the rules of communication, so the transition is made from literal meanings to implied meanings determined by the context. This violation does not mean that they do not cooperate with the other in achieving the goal of the dialogue, but rather it is an intentional way to convey what was not said.

Keywords: conversational implicature; the principle of cooperation; conversational rules; break the rules; Context.

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في الحقل المفاهيمي؛ فبينما وصل اللسانيون في دراستهم للبنى اللغوية من حيث التركيب إلى طريق مسدود، فإن الكثير من الدارسين يُعولون على التداولية التي أوجدت لنفسها جهازا مفاهيميا خاصا بها؛ لتفسير مقاصد المتكلم وكيفية اكتشاف السامع لهذه المقاصد. ولعل من أهم هذه المفاهيم " الاستلزام التخاطبي " الذي وُلد من رحم محاضرات " هيربرت بول غرايس Herbert Paul Grice "؛ حيث لاحظ أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضيوي، فقام بتقنين الظاهرة.

وسعيًا منا لاستجلاء المعاني المخبوءة التي أراد الرسل والأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - تبليغها لمحاورهم من خلال الاستلزام الحوارية باعتباره من آليات إنتاج الخطاب، وجدنا أن لابد من الإجابة على الإشكاليتين التاليتين: ما المعاني المقصود تبليغها من طرف الرسل والأنبياء في حواراتهم من خلال الإخلال بقواعد التخاطب الغرايسية؟ وكيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم؟ لأجل ذلك ارتأينا تنظيم الإجابة في مطلبين؛ نفتتحهما بمقدمة، ونتوجهما بخاتمة تضم أبرز النتائج المتوصل إليها. أما المطلب الأول فنهتم فيه بالعرض النظري لجملة من المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بموضوع دراستنا (نشأة نظرية الاستلزام التخاطبي، المعاني الصريحة والمعاني الضمنية، مفهوم الاستلزام التخاطبي، مبدأ التعاون)، يليه المطلب الثاني الذي نشرح فيه كيفية خرق كل قاعدة من قواعد التخاطب على حده، وذلك بتطبيقها على نماذج مختارة من حوارات جرت على ألسنة الرسل والأنبياء، والتي استلناها من القصص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة، مرورًا بمعانيها الحرفية وصولًا إلى المعاني المستلزمة التي يهدي إليها السياق، وهذا على ضوء كتب التفسير، معتمدين على المنهج التداولي الذي وجدنا به ضالتنا.

2. المطلب الأول: الاستلزام التخاطبي (النشأة والمفاهيم)

1،2. نشأة نظرية الاستلزام التخاطبي:

تصبُّ نظرية " الاستلزام التخاطبي " في إطار ما يسمّى بـ " نظرية الاستلزام المعاصرة " التي لا يتعدى ميلادها ثلاثة عقود تقريبًا، ويرجع الفضل في نشأتها إلى الفيلسوف اللغوي " بول جرايس"، من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1967 بعنوان " المنطق والتخاطب" ومحاضرات سنة 1971 بعنوان " الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي" (كادة، دس، صفحة 106) التي صب اهتمامه فيها على إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said، وما يقصد what is meant (نحلة، 2002، صفحة 33).

وقد ابتكر غرايس مصطلح الاقتضاء IMPLICATURE والفعل IMPLICATE واشتقته من الفعل IMPLY بمعنى يتضمن أو يستلزم، وقد اشتق من الفعل اللاتيني PLICARE بالمعنى نفسه، منطلقاً في ذلك من فكرة أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معان صريحة وأخرى ضمنية تتحدد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه، وقد أطلق على هذه الظاهرة اسم الاستلزام الحواري THEORY OF CONVERSATION، أو نظرية التخاطب، أو نظرية الاقتضاء OF THEORY IMPLICATURE. (كادة، 2009، صفحة 105) التي جاءت لتسدّ الثغرة الموجودة في توصيف عملية التخاطب وتفسيرها، واستنباط مقاصد المتكلم في خطابه (مرسي، 2018، صفحة 241)؛ إذ أن التأويل الدلالي الكافي للكثير من الجمل يُصبح متعذراً إذا تم الاقتصار فيه على المعطيات الظاهرة فقط، مما يتطلب تأويلاً دلالياً آخر، ومن ثمة يتم الانتقال من المعنى المصرح به إلى معنى غير مصرح به. (أدراوي، 2011، صفحة 18) من هنا جاء اقتراح "غرايس" بتفسير الاختلاف بين المعنيين الصريح والضمني.

2,2. المعاني الصريحة والمعاني الضمنية:

اقترح "غرايس" تصنيفاً للعبارة اللغوية، وذلك حسب دلالتها إلى معان صريحة، وأخرى ضمنية: (صحراوي، 2005، صفحة 34)

2,2,1. المعاني الصريحة: هي التي تدل عليها الصيغة الحرفية للجملة ذاتها، وتشمل:

- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.
- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما كالاتقها، الأمر، النهي، التوكيد، النداء،...

2,2,2. المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، تفهم انطلاقاً من

السياق الذي تستعمل فيه، والتوجيه إليها، وتشمل:

- معاني عرفية: هي المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطاً أصيلاً، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، كمعنى الاقتضاء.

- معاني حوارية: وهي المعاني التي تنتج وفقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة، كالدلالة الاستلزامية.

3,2. مفهوم الاستلزام التخاطبي Conversational Implicature :

تعددت مفاهيم الاستلزام التخاطبي، ومن أهمها تعريفه بكونه: "رسالة مضمرة ذات معنى أعمق من

المعلومة القضية المباشرة للخطاب حسب خصائص السياق (مقام الكلام والمعرفة المشتركة)، (فرانثيسكيويوس، 2014، صفحة 16) أو هو " ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر" (أدراوي، 2011، صفحة 18) معنى ذلك أنه يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة (أدراوي، 2011، صفحة 19) لذا يعدّ محورا هاما في الدراسة التداولية التي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال. وينبني الاستلزام عند "غرايس" على مبدأ التعاون وما يتفرع عنه من قواعد:

4.2. مبدأ التعاون Cooperative Principle:

لوصف ظاهرة الاستلزام الحوارية قدم غرايس فكرته المتمثلة في أن مساهمات المتكلمين في المحاورات تخضع أثناء المحادثة لمبدأ عام سماه مبدأ التعاون، يؤسس داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليست صريحة في الواقع بين أطراف التبادل، بل هي عبارة عن عناصر خفية تُعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسعون لإنجاح عملية التواصل، بموجب لعبة ذكية من الاستنتاجات (دلاش، دس، صفحة 33). وقد صاغه على النحو التالي: " لتكن مساهمتك في المحادثة لحظة حصولها وفق ما يقتضيه هدف المحاورة اللغوية التي انخرطت فيها أو وجهتها المقبولة" (موشلر و ريبول، 2010، صفحة 214)، وتتفرع عن هذا المبدأ قواعد تخاطبية أربع.

3.3. المطلب الثاني: القواعد التخاطبية والمعاني المستلزمة من خرقها في حوارات الرسل والأنبياء

3.1. التعريف بقواعد التخاطب:

يرى "غرايس" أن القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون " ليست أعرافا عشوائية، بل هي وسائل عقلية لتسيير التبادل التعاوني"، (بن ظافر الشهري، 2015، صفحة 203) ويفسر " طه عبد الرحمن " الغاية من سنّها ونتائج انتهاكها، قائلاً: "لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية"، (عبد الرحمن،

¹ الرَّسُولُ هُوَ الْمُرْسَلُ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ لِيُبَلِّغَ إِلَى النَّاسِ فَلَا يَكُونُ الرَّسُولُ إِلَّا نَبِيًّا، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ الْمُنْتَبَأُ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَلْبِيغِهِ، فَإِذَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّلْبِيغِ فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ رَسُولًا. ينظر: التحرير والتنوير، ج16، ص127.

1998، صفحة 239) مما يعني أن ظاهرة الاستلزام الحواري تنتج عن خرق أي قاعدة من قواعد التخاطب.

2,3. نصوص قواعد التخاطب، (عبد الله الخليفة، 2013، الصفحات 29-30) والمعاني المستلزمة من خرقها في حوارات الرسل والأنبياء:

- قاعدة الصلة maxim of relation: مفادها:

ليكن كلامك مناسباً أو ذا صلة بموضوع الحديث.

ونجد انتهاك هذه القاعدة في الكلام غير المباشر للرسل والأنبياء مع غيرهم، والذي يتضمن معان غير مصرح بها، ومن أمثله:

- **النموذج الأول:** قال الله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: 23). دعت امرأة العزيز يوسف - الذي هو في بيتها - إلى نفسها؛ لحبها الشديد له وحسن بهائه، وغلقت الأبواب عليهما، وقالت: هلم إليّ. فقال: أعتصم بالله، وأستجير به مما تدعيني إليه، إن زوجك سيدي أحسن منزلتي وأكرماني، إنه لا يفلح من ظلم ففعل ما ليس له فعله. وفي هذا المقام كان على يوسف الرد بإحدى الإجابتين: " نعم " للتعبير عن قبوله بما دعي إليه، أو: " لا " للتعبير عن رفضه، غير أنه اتجه إلى ذكر الموانع التي تمنعه من هذا الفعل: تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من يأتيه، (بن ناصر السعدي، 2002، صفحة 396) وهذا لا يتوافق وقاعدة المناسبة التي تنص على مراعاة علاقة المقال للمقام. ولعل الدافع لعدول يوسف عن القول الصريح " لا " هو تجنب إهانة كبرياء صاحبة البيت، فكثيراً ما " نكون ممزقين بين الرغبة التي تتملكننا تارة في التزام جانب الصراحة، والقلق الذي يغمرنا طورا والنابع من الرغبة في تجنب الشخص الآخر الإهانات النرجسية التي تسببها لا محال هذه الصراحة، فلا ندخر وسعا للتوفيق بين هاتين الضرورتين" (كبريرات أوريكيوني، د.س، صفحة 460) مما يعني أن الاستلزمات التخاطبية تساعدنا على فهم السبب في تلفظ المتكلم بهذا القول أو ذلك (جحفة، 2000، صفحة 31). وهنا كان لزاماً على سيدة البيت " زوليخة " - لتفهم المقصود - أن تصرف كلام يوسف عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام (عبد الرحمن، 2000، صفحة 104) وهو امتناع يوسف عن فعل الفاحشة، ورفضه لخيانة سيده؛ وهذا راجع لعفاهة وتقواه.

- **النموذج الثاني:** عن معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدْخِلُنِي الجنة وَيُبَاعِدُنِي عن النار، قال: " لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبدُ الله لا تشركُ به شيئاً، وتُقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتَصومُ رمضان، وتَحُجُّ البيت " .. ثم قال: " ألا

أدلك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنة، والصدقة تُطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النارَ، وصلاة الرجل في جوف الليل" ثم تلا: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع.. ﴾ حتى بلغ ﴿ يعملون ﴾. ثم قال: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد " .. ثم قال: " ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ " قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: " كُفَّ عليك هذا ". قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: تَكَلَّمْتُ أُمَّكَ، وهل يُكَبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم" - أو قال: " على مَنَاحِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " (بن شرف النووي، 2002، صفحة 23) (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح). ففي الحوار الذي دار بين معاذ بن جبل والرسول صلى الله عليه وسلم في جزئه: (قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: تَكَلَّمْتُ أُمَّكَ، وهل يُكَبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم" - أو قال: " على مَنَاحِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ") استقهم معاذ عما إذا كنا نعاقِبُ بما نتكلم به، وهو استفهام استنثبات وتعجب واستغراب، يدلُّ على أنه لم يكن يعلم بوجود حبس اللسان عن الشر، فلا يَزِلُّ بكلام يؤذي (بن عبد القوي و سليمان، 1998، صفحة 224) فكان المعنى الحرفي لجواب الرسول صلى الله عليه وسلم: دعاء على معاذ بفقد أمه له؛ أي موته (" تكلتلك أمك ") ، وسؤال إذا ما كان هناك سبب يلقي الناس على وجوههم في نار جهنم سوى ما يكسبونه من كلام حرام من كذب وغيبة ونميمة وسب وشتم ولعن (" وهل يكب الناس ... أسنتهم "). وكلا الجوابين بمعنييهما الحرفيين لا يلائمان السؤال المطروح، فما علاقة الدعاء على معاذ بسؤاله؟ وهل سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم بمعناه الحرفي يبِدِّد حيرة السائل؟ إذن في الجواب انتهاك لقاعدة المناسبة بالموضوع، وهنا بالضبط وعلى ضوء القواعد الأخرى للتعاون يسأل السامع نفسه ما علاقة هذا الجواب بسؤاله؟ ليصل إلى أن ليس المراد من القول " تكلتلك أمك " وقوع الموت، بل هو تأديب وتنبية من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر، (المباركفوري و أبو العلي، د.س، صفحة 365) كما ليس المراد من الاستفهام " وهل يكب الناس...إلا حصائد ألسنتهم؟ " طلب الفهم، بل هو استفهام إنكار؛ يقتضي أن ما يلقي الناس في النار إلا ما تحصله ألسنتهم من آثام، وهو عام أريد به الخاص؛ إذ الأسباب التي تكب الناس في النار عديدة وإنما خرج هذا مخرج المبالغة في تعظيم الكلام " (بن عبد القوي و سليمان، 1998، صفحة 225) وعلى ذلك إذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطب اليقظ ذلك وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك ("نحلة، 2002، الصفحات 36-37)

قاعدة النوعية maxim of quality: وتتفرع إلى قاعدتين:

- لا تقل ما تعتقد أنه غير صادق.

- لا تقل ما ليس عندك دليل كاف على صدقه.

ومن نماذج خرقها:

- النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) ﴾ (الأنبياء: 62-63). فبعد تحطيم سيدنا إبراهيم عليه السلام لأصنام المشركين الذين كانوا عنها غائبين، سئل من طرفهم بعد عودتهم إذا كان هو الفاعل، فأجاب بنفي ذلك عن نفسه، وإسناد الفعل إلى كبير الأصنام. وهنا حدث خرق لقاعدة الكيف، بمخالفة القول للواقع. لكن بافتراض مبدأ التعاون وأن إبراهيم عليه السلام يدرك أن قومه يدركون عجز أصنامهم الجامدة عن فعل ذلك، كما يدركون أنه من فعل ذلك بدليل سؤالهم التقريري: " أنت فعلت هذا ؟ " الذي قادت إليه المعلومات المشتركة بين المتحاورين؛ حيث كان إبراهيم عليه السلام يتحلف ويهدد بتحطيمها، إضافة إلى توجيه إبراهيم -عليه السلام- قومه إلى الرسالة التي أراد تبليغها لهم؛ إذ أردف القول: " فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ "؛ ذلك أن " التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار، وهو ما يتطلب أن يكشف المتحاورون عن مقاصدهم أو على الأقل التوجه العام لهذه المقاصد"، (أدراوي، 2011، صفحة 18) فإن قوله " بل فعله كبيرهم" يستلزم من قومه أن يفهموا أنه ليس من باب الكذب الذي يقود إليه الخوف، أو أسباب أخرى، بل هو تقرير الفعل لنفسه وإثباته لها بأسلوب تعريضي تكبتي لهم وإلزاما للحجة عليهم؛ إذ أراد أن يثبت لقومه فساد اعتقادهم في عبادتهم للأصنام، وذلك بحجة تلزمهم واعترافهم بصدور من جهتهم بعد التأمل في شأن آلهتهم بأنها لا تقدر على شيء لأنها جماد وأن كبيرهم لا يصدر عنه هذا الفعل، لأنه لا يختلف عنهم في الجمادية والعجز، وبذلك تقوم الحجة عليهم بأنهم كيف يعبدون ما لا يصلح إلها لعجزه عن جلب النفع ودفع الضر. ويدل على هذا القصد الآيات التي تلي الآيتين السابقتين: ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون (64) ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون (65) قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم (66) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (67) ﴾ (الأنبياء 64..67) (الحديدي و أبو النور، 1976، صفحة 239)

- النموذج الثاني:

روى الترمذي في سننه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَبَّتَ، قَالَ: " شَيْبَتِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَنْسَاءُ لُونٌ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ". (الترمذي، 1975، صفحة 402) فلما قال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشعر الأبيض بدأ يظهر عليك قبل أوانه، وكان لا يتجاوز العشرين شعرة على رأسه ولحيته، رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم: " شَيْبَتِي هُوْدٌ

والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت". وهذا مجاز عقلي علاقته سببية؛ إذ أسند الفعل (شيب) إلى غير فاعله الحقيقي؛ وهذا خرق لقاعدة الكيف بمخالفة القول للواقع، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن المخاطب سيفهم أن ما قيل له ليس المقصود منه الكذب بالمعنى المتعارف عليه، بل أريد به أن تلك السور هي سبب الشيب؛ قيل: وذلك لما في تلك السور من التخويف الفظيع والوعيد الشديد؛ لاشتمالهن على حكاية أهوال الآخرة وعجائبها وفنائها وأحوال الهالكين والمعذبين، مع ما في بعضهن من الأمر بالانتقام، وهو من أصعب المقامات، وكأن ذلك الشيب خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم على أمته. (المناعي، 2001، الصفحات 222-223) كما يفهم التأثر الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وهو الذي عرفه حقاً.

- قاعدة الكمية maxim of quantity: وتضم قاعدتين فرعيتين:

- اجعل إسهامك في المحاوره مفيدا بالمعلومات بالقدر المطلوب.

- لا تجعل إسهامك بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب.

غير أن المتوغل في حوارات الرسل والأنبياء يجد إخلالا بهذه القاعدة؛ وذلك لأغراض عدة، فنجد مثلا:

- النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَلًا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) ﴾ (الأعراف: 60..62). في هذا الحوار، قال أشرف قوم نوح وسادتهم الذين تصدوا لمجادلة نوح عليه السلام والمناضلة عن دينهم إنا لنؤمن أنك في غاية البعد عن طريق الحق، وهذه شبهة منهم. فردّ نوح عليه السلام بنفي تلبس الظلال به " ليس بي ضلالة " والباء هنا للمصاحبة أي الملابس، وهي تناقض معنى الظرفية المجازية من قولهم: " في ظلال " (ابن عاشور، 1984، الصفحات 190-192). وكان بإمكانه - عليه السلام - أن يكتفي بهذا الكلام، إذ هذا ما يقتضيه الرد على شبهة القوم، لكنه احتاج إلى زيادة بيان فتجاوز القدر المطلوب من المعلومات، وهنا كان الخرق الكمي؛ حيث استدرك كلامه بأقواله: " ولكني رسول من رب العالمين " أي هو في حال رسالة عن الله، والمعنى المستلزم هنا رفع ما توهموه من أنه على ظلال حيث خالف دينهم. واختيار طريق الإضافة في تعريف المرسل تفيد تخيم المضاف، ووجوب طاعته على الناس جميعا، تعريضا بقومه إذ عصوه. وأضاف: " أبلغكم رسالات ربي " والإتيان بالمضارع لغرض إفادة التجدد، وأنه غير تارك التبليغ من أجل تكذيبهم تأييسا لهم من متابعتهم إياهم، ثم

إن إضافة الرب إلى ضمير المتكلم تعني لزوم طاعته، وأنه لا يسعه إلا تبليغ ما أمره بتبليغه وإن كره قومه. وبعدها عطف قوله " أنصح لكم" على سابقه، والنصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن حسن النية وإرادة الخير من قول أو عمل، والإتيان بالمضارع (أنصح) يفيد تجديد النصح لهم، وإنه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو إيدائهم. ولم يتوقف عند ذلك، بل عطف " أعلم من الله ما لا تعلمون" كذلك على قوله السابق، وهذا الإجمال البديع يستلزم تهديدا لهم بحلول عذاب بهم في العاجل والأجل، وتبنيها للتأمل فيما آتاهم به، وفتحا لبصائرهم أن تطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه. (ابن عاشور، 1984، الصفحات 192-194)

والملاحظ أنه حصل إخلال ثان بقاعدة الكم بالزيادة بين القول " ولكني رسول من رب العالمين " وما تلاه، إذ لولا الرسائل الضمنية التي أراد سيدنا نوح عليه السلام تبليغها لاكتفى بالقول: " ولكني رسول "؛ ذلك أن الرسالة تجمع التبليغ، والنصح، والعلم بما لا يعلمونه. وخلاصة خرق قاعدة الكم في هذه الآيات هو توليد معنى مستلزم مفاده وجوب الانقياد لنوح عليه السلام وقبول ما جاءهم به وطاعة رب العالمين.

- النموذج الثاني:

روي عن الترمذي أنه سُمِعَ أَبُو هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَزَكِبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطَشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ مِنَ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هُوَ الطَّهْرُ مَأْوَةٌ، الْحِلُّ مَيْتَةٌ " (الترمذي، 1975، صفحة 100) (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه). فالرجل سأل عن حكم الوضوء بماء البحر، إذ حالهم أنهم يركبون البحر، ومعهم ماء قليل، يخشون إن تطهروا به عطشوا. والنبى صلى الله عليه وسلم أجاب: " هو الطهور مأوه " أي يصح الوضوء به، إذ قرن الحكم بعلته وهو الطهورية. وبهذا القدر من المعلومات يحصل الجواب عن السؤال. لكن المتمعن في الإجابة يجدها كلاما عاما يحمل دلالات أكثر مما قيل؛ إذ تضمنت ما سأل عنه الصحابة، وزيادة على ما سألوا عنه؛ فالماء الطهور يحصل به التطهر ورفع الحدث الأكبر والأصغر، هذا من جهة، من جهة أخرى أضاف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما سألوا عنه جواباً آخر لم يسألوا عنه فقال: " الحل ميتته " أي ما يحصل فيه من الميتات فإنه حلال. والواضح أن هذا لا يوافق قاعدة الكمية في شطرها " لا تجعل إسهامك بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب "، مما يستلزم أن حال هؤلاء السائلين يستدعي تلك الإجابة؛ لأنهم لما استشكلوا ذلك الأمر الأخف الذي هو الوضوء منه فإن استشكلهم حل الميتة فيه يكون من باب أولى (بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، د.س) لأن النصوص الشرعية تقدمت في تحريم الميتة، وهذا زيادة للفائدة " وذلك من محاسن الفتوى بأن يأتي بأكثر مما يسأل عنه تنميماً للفائدة وإفادة لعلم آخر غير المسؤول عنه ويتأكد ذلك عند

ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفا". (المنابي، 2001، صفحة 216)

قاعدة الأسلوب maxim of manner:

- تجنب غموض العبارة
- تجنب اللبس
- تكلم بإيجاز
- ليكن كلامك مرتبا بالتسلسل
- وأمثلة خرق (انتهاك) هذه القاعدة نورها في النماذج التالية:
- النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) ﴾ (الشعراء: 75..82). أنكر إبراهيم عليه السلام على قومه ما يعبدونه هم وأبائهم الأقدمون، ووبخهم على ذلك. وكلامه يتضمن بطلان آلهتهم وعبادتها، وأعلمهم بعبادة تلك الآلهة له وهي علة عدم عبادته لها، وبطلان عبادتها بسبب الضرر الذي يلحقهم من جهتها، واستثنى رب العالمين من العداوة، ثم ذكر بعض صفاته ومنها الخلق والهداية والإطعام والسقاية والإماتة والإحياء ومغفرة الذنوب، (الألوسي، 1415هـ، صفحة 93) وهذا فيه انتهاك لقاعدة الأسلوب في فرعها " تكلم بإيجاز"؛ إذ كل الصفات تندرج تحت ربوبيته تعالى للعالمين. لكن إذا تفحصنا القول في ضوء مبدأ التعاون ألفينا أن المتكلم أراد به وجها أكثر مما صرح به؛ فهو زيادة في الإيضاح في مقام الإرشاد، وقد يكون تصريحاً بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلاً لها؛ لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة لله تعالى وقصر الالتجاء عليه تعالى في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار عاجلها وآجلها. (الألوسي، 1415هـ، صفحة 93) وترك تلك الأصنام.

- النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22) ﴾ (الشعراء: 18.. 20). وردت الآيات في سياق ذهاب سيدنا موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون، لتبليغه أنهما مرسلان من رب العالمين بإخراج بني إسرائيل من بلاد الفراعنة لقصد تحريرهم من

استعبادهم، فوجه فرعون خطابه إلى موسى وحده، ممتناً عليه بنعمته عليه ومخوفاً إياه بالجناية التي ارتكبتها قائلاً: أَلَمْ نُزَيِّكْ فِي مَنَازِلِنَا صَغِيرًا، وَمَكَّثْتَ فِي رِعَابِنَا سَنِينَ مِنْ عُمْرِكَ وَارْتَكَبْتَ جَنَائَةً بِقَتْلِكَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، وَأَنْتَ مِنَ الْجَاهِدِينَ نَعْمَتِي الْمُنْكَرِينَ رَبُّوبِيَّتِي؟ (التفسير، 2009، صفحة 367) حُسْبَانَا بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَلَعُ الدَّعْوَةَ مِنْ جَذُورِهَا وَيَكْفُفُ مُوسَى عَنْهَا، وَقَضَدُهُ مِنْ هَذَا الْخِطَابِ إِفْحَامُ مُوسَى كَيْ يَتَلَعَّثَ مِنْ حَشِيَّةِ فِرْعَوْنَ حَيْثُ أَوْجَدَ لَهُ سَبَبًا يَتَدَرَّعُ بِهِ إِلَى قَتْلِهِ وَيَكُونُ مَعْدُورًا فِيهِ، (ابن عاشور، 1984، صفحة 110) فأجاب موسى: فعلتُ ما ذَكَرْتَ (القتل) من غير عمد، وقبل أن يوحى الله إلي، وبيعته رسولاً فخرجت من بينكم فأرأى إلى " مدين "، خوفاً من انتقامكم، فوهب لي ربي تفضلاً منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. وتلك التربية في بيتك تُعْطِيهَا نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيداً تذبج أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان. (التفسير، 2009، صفحة 368) والملاحظ أن موسى عليه السلام لم يرتب كلامه؛ حيث أخرج الجواب عن قول فرعون " أَلَمْ نُزَيِّكْ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ " (الشعراء: 18)، وهنا حدثت مخالفة لقاعدة الأسلوب في الفرع الخاص بترتيب الكلام (ليكن كلامك مرتباً بالتسلسل)، مما يفرضي إلى أن موسى عليه السلام ابتدأ بالجواب عن الأهم من كلام فرعون وهو " وَقَعَلْتَ فَعَلْتَك " لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ أَدْخَلَ فِي قَصْدِ الْإِفْحَامِ، وَلِيُظْهِرَ لِفِرْعَوْنَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ مِنْ مَطَالِبَتِهِمْ إِيَّاهُ بِأَخْذِ ثَأْرِ ذَلِكَ الْقَتِيلِ ثَقَّةً بِأَنَّ اللَّهَ يُنْجِيهِ مِنْ عُدْوَانِهِمْ. (ابن عاشور، 1984، صفحة 113)

- النموذج الثالث:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى " (رواه البخاري ومسلم) (بن شرف النووي، 2002، الصفحات 8-9)، فالفعل " أُمِرْتُ " مبني للمجهول، إذ حذف فاعله، وأقيم المفعول به مقامه والإسناد إليه، وهذا فيه خرق لقاعدة الأسلوب " تجنب غموض العبارة "؛ إذ أُبْهِمَ الْأَمْرُ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم راعى عقل المخاطب وإدراكه للأمور وقدرته على الاستنباط ليصل إلى المعنى (ناصر و حسين، 2007، صفحة 160) الذي هو أمرني الله تعالى، لِأَنَّ فَاعِلَ هَذَا الْأَمْرِ مَعْلُومٌ لَدَى الْمَخَاطَبِينَ، بِسَبَبِ مَا تَكَرَّرَ مِنْ إِسْنَادِ الْوَحْيِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، (ابن عاشور، 1984، صفحة 159) كما أنه ليس فوق رتبة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيأمره إلا الله جل وعلا. (بن عبد القوي و سليمان، 1998، صفحة 106)

4. خاتمة

- عملنا في بحثنا هذا على تحليل بعض الحوارات التي تواصل بها الرسل والأنبياء - عليهم السلام - مع غيرهم، بغية الوصول إلى المعنى التواصلية، فاستعنا بألية من آليات المنهج التداولي وهي الاستلزام التخاطبي، لنتمكن من حصد النتائج التالية:
- تتجلى ظاهرة الاستلزام التخاطبي وبوفرة في حوارات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتتمثل في خرق قواعد الخطاب التي وضعها " غرايس " .
 - حوارات الأنبياء والرسل مبنية على المقصدية، التي تقتضي توفر شرط القصد لدى الباث، والقدرة على الفهم والإدراك لدى المستقبل.
 - خرق الرسل والأنبياء لقواعد الخطاب الغرايسية لا يعني خرقهم لمبدأ التعاون كليا، وبالتالي بتر عملية التواصل، بل هو طريقة مقصودة لتبليغ ما لم يقوله حرفيا، أو عكس ما قالوه، ..
 - يفسر الاستلزام التخاطبي أسباب انتقاء الرسل والأنبياء لهذا اللفظ أو ذاك.
 - إن خرق الرسل والأنبياء لقاعدة النوعية، لا يعني الكذب الذي هو معصية، فهم معصومون منه، بل هو طريقة متعمدة لينتقل محاورهم إلى معان أخرى ضمنية.
 - يتم الوصول إلى المعنى المستلزم عبر سلسلة استدلالات وتأويلات يقوم بها ذهن المخاطب، بمساعدة عدة عناصر تلخص المعرفة المشتركة بين طرفي الحوار.
 - يلعب السياق دورا بالغا في الوصول إلى المعاني المستلزمة.

5. قائمة المراجع

1. ابن عاشور، م (1984) تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
2. أراوي، ا (2011). الاستلزام الحوارية في التداول اللساني - من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها. الرباط: دار الأمان.
3. الألوسي، ش (1415 هـ). (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
4. الترمذي، ب (1975) سنن الترمذي. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
5. النقيير، ن. م (2009). التفسير الميسر، السعودية. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

6. الحديدي، ص &، أبو النور، م. (1976). عصمة الأنبياء والقرآن الكريم. مصر: جامعة الأزهر.
7. المناوي، م. (2001). فيض التقدير - شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. بيروت: دار الكتب العلمية.
8. بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، ع. د.س. (شرح سنن أبي داود Récupéré . sur <https://shamela.ws/book/37052/338#p1>
9. بن شرف النووي، أ. (2002). كتاب الأربعين النووية. مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
10. بن ظافر الشهري، ع. (2015). استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية. عمان: دار كنوز المعرفة.
11. بن عبد القوي، ب. ع. &، سليمان، ن. أ. (1998). كتاب التعيين في شرح الأربعين. بيروت: مؤسسة الريان و مكة.
12. بن عطية، ع. (1422 هـ). (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية
13. جحفة، ع. (2000). مدخل إلى الدلالة الحديثة. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر،.
14. دلاش، أ. د.س. (مدخل إلى اللسانيات التداولية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
15. راموس فرانثيسكيويوس. (2014). مدخل إلى دراسة التداولية - مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل. (يحي حمداي، المترجمون) بغداد: دار نيبور.
16. صحراوي، م. (2005). التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
17. عبد الرحمن، ط. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
18. عبد الرحمن، ط. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
19. عبد الله الخليفة، ه. (2013). نظرية التلويح الحوارية - بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
20. عطية، ع. (1422). (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.
21. كبريرات أوريكيوني، ك. د.س. (لمضمر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
22. كادة، ل. (2009). ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي. مجلة علوم اللغة العربية وآدابها (1).

23. كادة، ل. (د.س). المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية - ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجاً. باتنة: قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر.
24. مرسي، ث. (2018). في التداوليات الاستدلالية - قراءة تأصيلية في المفاهيم والسيرورات التأويلية. عمان: كنوز المعرفة.
25. موشر، ج &، ريبول، آ. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية. تونس: دار سيناترا (المركز الوطني للترجمة).
26. ناصح، ا &، حسين، ك. (2007). البديل المعنوي من ظاهرة الحذف. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

